التحذير من الزنى وبيان أضراره

الحمد لله الذي حرم الفواحش ليطهر العباد، والصلاة والسلام على الداعي إلى الرشاد، نبينا محمد المطهَّر من الفساد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد، أما بعد:

فإن شرف الإنسان في طهارة عرضه، ونقاء ذيله، وبياض صحيفته. كما أن سعادة الجنسين (الرجل والمرأة) في عفتهما وصيانتهما وكرامتهما، واستقامتهما على الدين القويم، والتمسك بالأخلاق الفاضلة الحميدة.

بل إن سعادة الأسرة، وسعادة الأمة كلها في طهارة عرض المرأة وحسن سلوكها، وفي استقامة الرجل وحسن سلوكه، وترفعه عن الرذائل والموبقات. ثم إن كل خطأ قد يمكن إصلاحه، وكل داء يمكن علاجه إلا عرض المرأة إذا خدش، وشرفها إذا انحط ونزل، وسمعتها إذا مست؛ فذلكم الداء العضال.

ولقد كانت العرب في الجاهلية يعتزون بشرف نسائهم، ويقفون دون أعراضهم بأسنة الرماح وحد السيوف، ولا يصبرون على العار والذل أبداً،

ولا يستسلمون لإهانة. فجاء الإسلام، فقوى فيهم الحفاظ على العرض، والغيرة على النساء؛ فحرم الزنى ودواعيه وامتدح الشهم الغيور، وندد بمن رضي بالذل والعار والفجور؛ لتبقى الأعراض مصانة، والشرف موفوراً، والأنساب محفوظة، والمحبة باقية، والصحة متوفرة.

فحينما ركب سبحانه وتعالى في الإنسان الشهوة البهيمية واللذة البدنية شرع له الزواج وشوقه إليه، وجعل له نظاماً شرعياً يستحل به الرجل امرأة تكون له زوجة ليبني معها بيت السعادة، وبذلك يبقى النوع الإنساني، وتعمر الأرض بالتناسل والولادة، يقول تعالى: ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم: ٢١].

وبما أن الإنسان قد يكون عبداً لشهوته، مطيعاً للذاته إذا أهواه الشيطان وغلبه والعياذ بالله. ولما كانت مفسدة الزنى من أعظم المفاسد، ومنافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب، وحماية الفروج، وصيانة الحرمات، وتوقي ما يوقع في أعظم العداوة والبغضاء بين الناس من إفساد كل منهم امرأة صاحبه أو ابنته أو أخته أو أمه أو حليلة جاره؛ وفي ذلك خراب العالم ودماره، حرمه الله تحريماً قطعياً، وجعله يلي مفسدة القتل في الكبر.

وكذا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهو جريمة منكرة، وفاحشة كبيرة، وحسبنا

دليلاً على حرمته، وشدة النهي والزجر عنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ فهو فاحش في نفسه، وهو القبيح الذي تناهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول السليمة، وهو سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا، وعذاب وخزي ونكال في الآخرة.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ ...الآية [الفرقان: ٦٨ – ٧٠]؛ فقرن سبحانه الزنى بالشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف.

يقول الإمام أحمد رحمه الله: لا أعلم بعد قتل النفس شيئاً أعظم من الزنى.

وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ ﴾ [النور: ٢]؛ قال العلماء رحمهم الله تعالى: هذا عذاب الزاني والزانية في الدنيا إذا كانا غير متزوجين، فإذا كان متزوجين أو قد تزوجا فإنهما يرجمان بالحجارة حتى يموتا.

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...» وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة» رواه البخاري ومسلم.

وأعظم الزنى والعياذ بالله الزنى بالأم والبنت والأخت وذوات المحارم، وكذا بحليلة الجار، والزنى يجمع خلال الشرّ فبه تضيع الأنساب وتختلط، ويذهب الورع، ويقل الدين، وتفسد المروءة، وتقل الغيرة، وينطمس القلب ويذهب نوره، ويسود الوجه، ويغضب الرب. والزنى يؤدي إلى ذهاب حرمة صاحبه، وسقوطه من عين ربه ومن أعين الناس، ويكسو صاحبه أسماء الذم والعار كاسم الفاجر، والخائن، والفاسق، والخبيث، والزاني. ويؤدي بصاحبه إلى الفقر أيضاً، ويُعرض محارمه للوقوع بالفاحشة؛ فكما تدين تدان! وصاحبه قد عرض نفسه لعذاب الله في الدنيا والآخرة.

وعلى العموم فأضرار الزنى كثيرة لا حصر لها؛ لأن هذه المعصية — والعياذ بالله — محفوفة بجميع المعاصي والآثام. فقد لا تتم إلا بأنواع المعاصي قبلها ومعها وبعدها؛ من استخفاف بدين الله وحدوده، وسكر وقتل، فهي تجلب شرور الدنيا والآخرة.

وحينما جعل سبحانه وتعالى من طبيعة البشر نزعات متباينة ؛ نزعات إلى الحق والخير، ونزعات إلى الباطل والشر. والنزعات التي تدفع إلى الشر وإلى الأعمال السيئة لا بد لها من رادع يكبح جماحها ، ويخفف من حدتها ، ويمنعها من الوقوع في المحذور. شرع سبحانه – وهو الحكيم العليم الرؤوف الرحيم – حدودا وعقوبات متنوعة بحسب الجرائم لتردع المعتدي ، وتصده عن جريمته ، وتصلح ما فسد منه ، وتكفر ذنبه الذي ارتكب ، فأوجب إقامة الحدود على مرتكبي الفواحش كل بحسب جريمته ؛ فالقاتل يقتل ، والسارق تقطع يده مثلاً.

أما جريمة فساد الأخلاق وانهيار المجتمع – تلكم الجريمة البشعة ، والفاحشة الكبرى ، والسيئة العظمى (الزنى) الذي حذر منه القرآن الكريم ، وخوفت منه السنة الشريفة ، وترفعت عنه نفوس الأتقياء – فقد رتب عليها الشارع عقوبة أكبر؛ فالزاني الذي يطأ فرجاً حراماً إما أن يكون محصنا أو غير محصن.

فالمحصن وهو البالغ العاقل الذي تزوج امرأة ووطئها بنكاح صحيح ؛ فإذا زنى رجم بالحجارة حتى يموت ، ثم يغسل ويكفن ويصلى عليه ، ويدفن في مقابر المسلمين إن كان مسلماً.

وأما غير المحصن وهو من لم يتزوج ويطأ بنكاح صحيح ؛ فإذا زنى

جلد مائة جلدة، وغرب عن البلد سنة كاملة. ويكون جلده بمشهد كبير من المؤمنين جزاءً له وردعاً لأمثاله. قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢].

أما جزاء الزاني في الآخرة فهو مضاعفة العذاب والخلود فيه إذا لم يتب، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠]. فجعل الله الحد لهذه الجريمة المنكرة والفاحشة الكبيرة حداً في الدنيا زجراً وتأديباً وعبرة، وجعل لها عقاباً عظيماً في الآخرة.

فعلى الإنسان أن يستشعر عظمة الله وقدرته، ويعلم أنه سبحانه يراقبه ويراه، ويعلم سره ونجواه، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فيخاف منه ويعلم أنه سبحانه إن قصر وفرط، ويعاقبه إن انحرف وزل، فلا يقدم على الموبقات والقبائح والمنكرات والفواحش.

وعليه أن يحافظ على أوامر الله، ويداوم على الصلاة وعلى ذكر الله

وتلاوة كتابه، ويستمع إلى أخبار الصحابة والصالحين، ويختار الرفقة الصالحة، ويذكر الموت وما بعده. وعليه أن يحفظ نظره سداً للذريعة، وخشية من الوقوع في الإثم والعقوبة؛ لأن النظر قد يؤدي إلى الزنى، فيجب الحذر منه، والابتعاد عنه قال عليه الصلاة والسلام: «العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام» الحديث. وهذا ما يسمى بزنى الجوارح.

كما يجب توقي الأسباب الآتية؛ لأنها قد توقع في الزنى، ومنها:

١ – تبرج النساء وإبداؤهن الزينة للأجانب، واختلاطهن بالرجال، أو تطلع الأجانب إليهن.

٢ – الاستماع إلى الملاهي والمجون والغناء ووسائله، ومشاهدة المسلسلات والبرامج والتمثيليات الخليعة في التلفزيون أو الفيديو، وكذا مشاهدة الصور والمجلات الفاتنة الخليعة، وتناول المسكرات والمخدرات وما أشبهها.

٣ – خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية؛ كالخلوة بزوجة أخيه، أو زوجة ابن أخيه، أو الخلوة بالخدامة، أو خلوة السائق بالنسوة أو بإحداهن في الخروج للأسواق أو للنزهة ونحوها بدون محرم، وغير ذلك من الوسائل التي نهى عنها الدين الإسلامي، وحذر منها. فالواجب توقي هذه الأسباب وأمثالها.

نسأل الله سبحانه وتعالى الاستقامة على دينه، والإعانة على أداء ما أوجبه علينا، والانتهاء عما نهانا عنه على الوجه الذي يرضيه عنا. وأن يقينا وجميع المسلمين من وسائل الفتنة، وعوامل الفساد، ومكايد الشيطان. إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

